

اجتهادات فليكن تعليماً أولاً

تبدو الدعوة إلى تعليم العلوم التجريبية مثل الطب والهندسة باللغة العربية في جامعاتنا كما لو أنها قادمة من كوكب آخر. فقبل أن نفكر في تعريب تعليم هذه العلوم، ينبغي أن نعمل من أجل رفع مستوى هذا التعليم، أو حتى وقف التدهور الذي يحدث في نظامنا التعليمي في مجمله، بافتراض وجود حاجة أصلاً إلى هذا التعريب، أو أنه خيار صحيح من حيث المبدأ.

فليس معقولاً أن نهتم باللغة التي يتعلم بها الطلاب، قبل أن نغنى بالعملية التعليمية نفسها ونواجه أنفسنا بحقيقة أنها لم تعد تُنتج تعليمًا حتى على النحو الذي كان قبل 20 أو 30 عاماً، وليس بالمستوى العالمي أو المقبول في هذا العصر.

ولذلك يشبه الحديث عن تعريب هذا التعليم الكلام عن تغيير المائدة رغم أن الطعام الذي يوضع عليها غير موجود، أو يقل كثيراً عما هو مطلوب. فالأولى في هذه الحالة أن نوفر الطعام قبل أن نبحث في شكل المائدة. وهذا فضلاً عن أن حال اللغة العربية لا تسر. ويجدر بدعاة تعريب العلوم أن يتقصوا أولاً ما آلت إليه وما يعرفه طلاب الجامعات اليوم منها. فالتدهور الذي حدث في التعليم لم يوفر اللغة العربية إلى حد أن الكثير من طلاب الجامعات لا يستطيعون كتابة سطر بها بدون خطأ إملائي أو لغوي.

والحال أن العملية التعليمية فى بلادنا تحتاج إلى إنقاذ عاجل فى جميع مراحلها، وإعطائها أولوية قصوى حتى لا تبقى مصر فى الموقع المتدنّى الذى وضعها فيه تقرير المنتدى الاقتصادى العالمى عن مؤشر التنافسية 2015-2016 فى مجال جودة التعليم.

وهذا تقرير يعتمد على أساليب علمية حديثة فى قياس موقع كل دولة فى سلم التقدم العالمى. وقد تزامن إصدار هذا التقرير مع إعلان دولة عربية نائية أنها لا توصى طلابها بالتسجيل لدرجة الدكتوراه فى الجامعات المصرية. وهو ما طرحه للنقاش د. سليمان عبد المنعم فى «الأهرام» فى 10 سبتمبر الجارى.

وهذان ليسا إلا جرسى إنذار جديدين لم نكن فى حاجة إليهما لنعرف أن العملية التعليمية باتت فى حاجة إلى مراجعة جوهرية إذا كان المستقبل يعيننا حقاً.